فعل الآخرون ولم يُعْنَ بها عناية تظهر ميزتها وتأثيرها في الكلام (١). السرازي .

عرف فخر الدين الرازي (ـ٦٠٦هـ) الفصاحة بأنها «خلوص الكلام من التعقيد»(٢) وهي ـ عنده ـ تتصل بالمعنى ، لأن الإفادة اللفظية يستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها، فإن السامع للفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً لمسماه أو لا يكون. فإن كان عالماً به عرف مفهومه بتمامه ، وإن لم يكن عالماً به لم يعرف منه شيئاً أصلا .

وحصر البحوث المتعلقة بالدلالة اللفظية في امرين .

الاول : ان الفصاحة والبلاغة لايعود عودهما الى الدلالة اللفظية .

الثاني : ان الفصاحة وان كانت غير عائدة الى الدلالة اللفظية ، لكن من الامور العائدة الى جوهر اللفظ والى دلالته الوضعية مايفيد الكلام كمالاً وزينة وجمالا (٣) : وهذه فكرة عبد القاهر التي بنى عليها نظريته في النظم ، ويرى بهاء الدين السبكي أن الرازي يميل الى ان الفصاحة راجعة الى الالفاظ والمعاني (٤) .

ابن الاثير :

وكان ضياء الدين بن الاثير (ـ ٦٣٧هـ) اوضح من السابقين تصوراً وفهماً للفصاحة ، وقد اهتم بها اهتماماً عظيماً وصّحح كثيراً من الآراء في كتابيه «المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر» و«الجامع الكبير» . يقول عن الفصاحة : «واعلم ان هذا باب متعذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ، ولم أجد من ذلك ما يعوّل

(١) ينظر الفصل الثالث «اللفظ والمعنى» في كتابنا «عبدالقاهر الجرجاني ـ بلاغته ونقده» ص ٨٧ ـ ١١٨

(٢) نهاية الايجاز ص٩.

(٣) نهاية الايجاز ص١١.

(٤) عروس الافراح ـ شروح التلخيص ج١ ص١٣٥.

عليه الا القليل . وغاية ما يقال في هذا الباب : ان الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي ، يقال : أفصح الصبح اذا ظهر . ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السرّ فيه » (١). ولا تتبين الفصاحة بهذا القول لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات :

الاول : انه اذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيّنا لم يكن فصيحا ، ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحاً .

الثاني : انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص ، فان اللفظ قد يكون ظاهراً لزيدٍ ولا يكون ظاهراً لعمرو ، فهو اذن فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا . وليس كذلك ، بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق حدّ الفصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف .

الثالث : انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بيّن ، ينبغي أن يكون فصيحا ، وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح ؛ فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل : « ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن » . ومعنى ذلك ان ابن الاثير لا يأخذ بهذا القول الذي اثار حيرته فمضى يبحث عن تعريف للفصاحة ، ويحقق القول فيها . وقد شرح المسألة بوضوح فقال ان المقصود بـ « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن » ان تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج فهمها الى استخراج من كتاب لغة ، وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم ، وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها ، وذلك أن ارباب النظم والنثر جربوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفروا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الالفاظ سبب استعمالها دون غيرها

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٩٤.